البيئة الثقافية للصناعة والتقنية

مهندس ممدوح عبد الحميد فهمي(*)

أولاً : مقدمة شخصية

لا أستطيع أن أبدأ هذا البحث قبل أن أعرف القارئ بنفسي وبعلاقتي بموضوع البحث وبهذه الحلقة الدراسية التي يناقش فيها . ولدت في الجيزة وتلقيت تعليمي الجامعي في هندسة الطيران وفي الرياضيات في جامعة القاهرة في الستينيات . كنت إذن متوحدًا بمشروع التنمية الصناعية الذي تبنته دولة مصر لدعم نضالها السياسي ضد الهيمنة الاستعمارية ولتأسيس شرعيتها بإشباع تطلعات الجماهير إلى رفاهية استهلاكية على النمط الغربي الأوروبي . كان الحلم الوطني القومي يتمثل في اللحاق بالغرب ومشابهته ومحاولة مناطحته . الوسيلة ؟ نقل التكنولوجيا .

وهكذا كنت واحدًا من ناقلي التكنولوجيا . سافرت إلى الولايات المتحدة لأتعلم علومها وأتقن مناهجها وتخصصت في منهج النماذج الرياضية- العددية ، وطبقته هناك في فهم وتحليل عدة نظم هندسية . وعدت إلى مصر في السبعينيات ، وبنية طيبة حاولت تطبيق ما تعلمته ، وفوجئت بعدم ملاءمة النظم الهندسية في مصر لمناهج التحليل الغربية.

أنجزت عدة بحوث حاولت فيها اعتساف الواقع ليلائم رموز المنهج . لكن العقم التطبيقي لتلك الأبحاث جعلني أتوقف بعد سبع سنوات .

أخذت أراجع القضية برمتها ، أتساءل وأتناقش مع زملاء وأصدقاء لي،

---

* أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة .

عن الخلل ، هل هو سياسي؟ هل هو منهجي معرفي ؟ هل هو حضاري ؟ وقد صغت بعض هذه المراجعات في مقالات نشرتها في مجلة الهندسة والحضارة وفي مؤتمرين بالقاهرة .

ثم جاءت هذه الحلقة ، ومعها دعوة من الصديق الأستاذ الدكتور حامد إبراهيم الموصلي للإسهام فيها . وخلال عملية التأمل والقراءة والحوار والكتابة بدأت تتبلور المعاني . وكلها تشير إلى أن حضوري وإسهامي في هذه الحلقة يبدو كنقطة تحول في فكري . كيف ؟

أخذت أتأمل العناصر الأربعة ، الجديدة في تفاعلها ، في خطاب الدعوة إلى الإسهام : « يقيم مركز دراسات العالم الإسلامي بالاشتراك مع اللجنة الشعبية العامة للصناعات الخفيفة بالجماهيرية الليبية حلقة دراسية بطرابلس بعنوان : الخامات والخبرات التقنية في الوطن العربي ، وذلك فيما بين 18-20 أبريل 1992».

ألحظ هنا أربعة محاور للتحول بالنسبة لي :

أولها تحول من الانشغال بدراسات (وأفكار وفلسفات وتوجهات وإنجازات...) العالم الغربي إلى دراسات العالم الإسلامي . أي التحول من اعتبار الغير ، الغربي ، مركز الإشعاع الحضاري وكنز الخير الفكري والنور العلمي إلى اعتبار الذات ، الإسلامية ، هي المركز المشع حضارة ، الكنز الممتلئ إمكانات .

ثانى التحولات هو التحول من التعلق بالصناعات الثقيلة بمؤسساتها المركزية وهياكلها الرأسية ومعاييرها التكنوقراطية إلى الصناعات الخفيفة بلجانها الشعبية وهياكلها التعاونية الأفقية ومعاييرها الاجتماعية الإصلاحية.تحول من التنمية الصناعية الفوقية القسرية الحكومية إلى التنمية الصناعية التحتية التلقائية الجماهيرية .

ثالث محاور التحول هو مكان انعقاد الحلقة وتوقيتها ، كمصري نشأ وعاش في حضن وادي النيل ومدنه الضخمة الأسمنتية كنت دائما غريبًا عن الصحراء بسهولها وكثبانها ، وواحاتها وجبالها . والصحراء ليست فقط هي معظم أرض مصر إنما هي أيضًا معظم أرض الوطن العربي ، هي إذن الحضن الطبيعي للعرب. ولهذا فالذهاب إلى ليبيا يمثل لي رحلة الانتماء إلى هذا الحضن الطبيعي ، رحلة الاتصال بعروبتي الجغرافية .

وتوقيت انعقاد الحلقة هو الآخر يعمق من مغزى التحول . إذ إن الحلقة تتم في عاصمة ليبيا التي تتعرض الآن للظلم والافتراء والبلطجة من الطاغوت

الأمريكى الأنجلو فرنسى .....

رابع محاور التحول هو موضوع الحلقة . إنه الإمكانات الذاتية لوطننا العربى ، إمكانات أرضنا وأنهارنا ، إمكانات شعوبنا وقبائلنا وعائلاتنا . وأن ننظر إلى وطننا العربى على أنه كنز من الإمكانات الغنية وأن ندرسها فى محبة ونحفظها فى إحسان وننميها فى ثقة. ياله من تحول ! من التحديق الشديد عبر قرنين فى إمكانات الغربى البعيد والإعجاب المشبوه بعلومه وحضارته ورموز مدنيته . من كل هذا إلى التدبر الودود فى حفظ وتنمية إمكانات العربى القريب .

هذا هو التحول العظيم بفضل الله الخبير العظيم .

ثانيا : تمهيد موضوعى

أبدأ هنا بتقديم فهمى للمصطلحات الأساسية ؛ ليمكن للقارئ تقييم الزاوية التى أرى بها موضوع البحث .

القيم

هى معايير التفاضل بين الأشياء أو البشر أو الأنشطة أو هى الأوزان النسبية التى تحدد درجة اهتمامنا أو تعلقنا بشىء، قيمة الشىء إذن هى مقدار ما نحن مستعدون لإنفاقه فى سبيل الحصول عليه . وأعم وصف لمادة الإنفاق هو الطاقة الحيوية ، وهذه تأخذ شكل المال، والوقت ، والجهد ، والعواطف ، والأفكار .. مثلاً أعلى الأشياء فى سلم القيم هو ما نحن مستعدون أن نبذل أى شىء فى سبيل نيله . « تقول الأم مثلا : فى سبيل أطفالى أفعل أى شىء . يقول الوطنى : فى سبيل حرية بلدى أبذل كل غال . يقول العالم : فى سبيل الحقيقة أسهر الليالى . ويقول الله فى وصف الذى طغى : إنه ﴿ **آثر الحياة الدنيا** ﴾ (النازعات : ٣٨). القيم إذن هى محددات القرار أو الاختيار فى حياتنا ، سلم قيمنا هو سلم أولوياتنا. أيهما أعلى قيمة عندنا : الدخل أم الجودة ، جهد العمل أم متعة الراحة ، المركزية الرأسية أم اللا مركزية التعاونية، التنافس أم التراحم ، الأخذ أم العطاء ؟

الثقافة

ثقافة أى جماعة هى مجموع ما فى نفوس أبنائها من معتقدات قوية ، وقيم حاكمة ، وتصورات وجودية . ثقافة الجماعة هى حياتها الباطنية المحددة لأسلوبها فى البقاء والنمو ، الغزو والقعود . الثقافة هى ضمير الجماعة وروحها المحركة ، وميزان اختياراتها، والسر وراء استجابتها للتحديات .

وثقافة الجماعة تجد وسائل كثيرة لتصور رؤاها وتحيزاتها وتفضيلاتها .. مثل الفنون والأمثال الشعبية والأساطير.

مثل أبطالها ونجومها ومثلها العليا ، مثل كتابات مثقفيها وأغانى عامتها . وهى كيان حى ، به ثوابت الخبرة التاريخية وظروف الجغرافيا ، وبه متغيرات التحديات والأحلام المعاصرة . جزء منها موروث من الأسلاف وجزء منها دخيل من الغزاة ، وجزء ثالث إبداع ذاتى حاضر .

الحضارة

هى مجموع الأنشطة البشرية والفعاليات الاجتماعية والمؤسسات السياسية والآليات الاقتصادية التى تشكل مكونات جماعة بشرية معينة فى إقليم وعصر محددين . هى الاختيارات ذاتها وقد تجسدت فى أعمال ومساعى وتدافعات وممارسات . وروح الحضارة هى الثقافة أما جسمها فهو المدنية . هى المدن والطرق والمبانى والآلات والكتب والمصانع والمزارع والأسواق ودور اللهو. وتتكون الحضارة من مجموعة من القدرات الذاتية : قدره علمية ، قدرة تنظيمية ، قدرة فنية ، قدرة تكنولوجية ، قدرة تأليفية ، ... إلخ .

العلم

هو نشاط بشرى هدفه اكتشاف سنن الله فى الكون فى الآفاق وفى الأنفس .. هو مجموعة من الأساليب المنظمة لتفسير حركة الأشياء وتحولاتها... الاستنباط ، الاستقراء ، التجريب والملاحظة والنمذجة ، والتأمل والحدس والخيال ، كلها بعض من المناهج التى يستخدمها العلماء للنفاذ إلى كُنه أو حقيقة الأشياء وتكوين صورة مدركة نافعة لنا .

التقنية

تقنية أى عمل هى أسلوب أدائه ، هى طريقة إتمامه .. تقنيات الإنتاج هى طرق الإنتاج فتتحدث عن تقنية سباكة صمام، تقنية لحام البلاستيك ، تقنية خرط الجريد تقنية كسوة الحوائط بالقيشانى ، تقنية تعليم الصم الكتابة ، تقنية الرى بالتنقيط ...

التكنولوجيا

هى علم التقنيات : قدرة ذاتية على تعديل وتحسين تقنيات موجودة أو إبداع تقنيات جديدة . هى قدرة حضارية موصولة بمجموع القدرات الحضارية الأخرى ؛ ولذا فما أصعب أن تنقل من مجتمع إلى آخر . التكنولوجيا قديمة قدم العمران البشرى ، مرتبطة بقدرة تأمل العملية الإنتاجية والتفكير المثابر المنظم فى تحسينها وفق إطار قيم الجماعة .

تتكون من أربع فعاليات :

1) استيعاب 2) تشغيل 3) تطويع 4) إبداع . كل منها تمثل تفاعلا جدليًّا بين الجماعة وواقعها الطبيعى

والاقتصادى يهدف إلى تشكيل الواقع ليكون أكثر ملاءمة للجماعة.

العدد والآلات

مستلزمات النشاط الإنتاجى . هى أدوات تنفيذ التقنيات فى تفاعلها لتشكيل الواقع .

الصناعة

هى المؤسسة الاجتماعية التى تنظم استخدام المواد الخام ، والأموال ، والخبرات التكنولوجية ، والتقنيات المكتسبة والعدد والآلات المتاحة ، فى نسق موجه إلى إنتاج سلعة محددة . هذه السلع قد تكون آلات وأجهزة ، وقد تكون تقنيات وأفكارًا.

والصناعة أنواع : استخراجية ، تجهيزية ، تحويلية ، تشكيلية ، هذا تقسيم من ناحية طبيعة التقنيات وارتباطها بالخامات فيها . هناك تقسيم آخر بحسب درجة تعقيد التقنيات وكثافة حجم المال وكبر حجم هيكل العمالة وهنا تكون الصناعة ثقيلة أو خفيفة .. وترتبط الصناعة الثقيلة عادة بكثافة رأس المال وتعقيد التقنيات وتكنوقراطية الإدارة. أما الصناعة الخفيفة فترتبط ببساطة الآلات ومحلية التقنيات ومرونة الإدارة وتعاونيتها .

التنمية

حركة اجتماعية بزخم حضارى تجاه زيادة درجة تحقق غايات الجماعة. هى قد تكون تنمية اقتصادية تجاه زيادة كمية الإنتاج ، الدخل ، الرفاهية ، أو تكون تنمية اجتماعية تجاه زيادة الترابط الاجتماعى والتواصل بين أنساقه الحية . أو تكون تنمية تعليمية ، علمية فنية ، .. تجاه زيادة كفاءة وعدد المتعلمين ، كمية البحوث العلمية وجودتها ، وفرة الأعمال الفنية وتنوعها .. إلخ .

والتنمية نوعان : قسرية مفروضة من مستعمر غالب أوحاكم مستبد ، تمزق روابط المجتمع وتشوهه ، أو ذاتية نابعة من البنية الحضارية للجماعة ، مجددة للذات من داخلها .

ثالثا:صياغة مسألة الثقافة والتنمية

ا- المشكلة : أسئلة عن الواقع الحاضر

ما سر تدنى قيمة إتقان العمل؟ ما سر احتقارنا للعمل اليدوى ؟ ما سر خوفنا من إصلاح العدد والآلات وإهمالنا تعلم صيانتها ؟ ما سر وجود آلات ضخمة جديدة فى صناديق لم تفتح ، وأخرى قديمة لم تكهن ؟ هل نعرف قدراتنا التكنولوجيا الموروثة ؟ هل راعيناها حقها ؟ هل نرى لها قيمة

أو فائدة ؟ هل نعرف تاريخ وطننا الصناعى والتقنى ؟ هل نعرف لم قامت صناعات و لم انهارت أخرى ؟ هل نعرف سر انفصال التعليم ، حتى الفنى الصناعى ، حتى الهندسى الجامعى ، عن احتياجات الصناعة الحكومية والأهلية ؟ هل نعرف سبب ضمور قيمتى التدريب والصيانة ، وشبه غياب قيمتى التطوير والتحسين؟ ما سر غفلتنا عن خطر هاوية الخمود التكنولوجى فى بلادنا ؟ ما سر عدم اكتراثنا بأن نكون مستوردين مستهلكين فقط ؟ ما سر هذا التعود على التفرج والانبهار بالمبدع المنتج الغربى ؟ ما سر هذه القابلية للانضغاط إزاء أى قهر تنمية قسرية ؟ أين ذهبت حيوية أنساقنا الاجتماعية حتى ليبدو أنه ليس بين الأسرة النووية والدولة المركزية غير فراغ مخيف ؟

وما هو هذا التخليط فيبدو كأننا فقدنا ملكة التمييز بين ما ينفعنا وما يضرنا .. قدرة مكافأة المحسن وعقاب المسيء ؟ لِمَ نبدو كأننا نفعل العكس فنحب من يستغلنا ونعجب بمن يتسلط علينا؟ وما هذا الغياب لأى ذاكرة تاريخية فيبدأ كل جيل ، بل كل مسئول ، من الصفر ودون أى اعتبار ولا استفادة بدروس من سبقوه؟ وهل نحن حقًا صوتيون كلاميون ، نقول ما لا نفعل ، نوصى بما لا ننوى عمله ، نشرع قوانين لا ننوى احترامها ، ننشئ مؤسسات ورقية ؟

لم يبدو أننا نتظاهر بأننا نحيا ، ونعمل ، ونغير ، ونقرر ، ونحارب ، بينما نحن حقيقة فى واد آخر ؟ لم أصبح كلامنا مانشيتات ولوائحنا رسميات ، وما نعنيه حقًا مكنون فى الصدور ؟

ما سر ثقتنا العميقة فى الغرب ، نستثمر أموالنا فى بنوكه وشركاته ونستشيره فى قراراتنا وتوجهاتنا ، بل وقد نستعين بجيوشه لحمايتنا ؟ ما سر ميلنا للحفظ والترديد لكلام البعيدين عنا ، سواء كانوا أسلافنا البعيدين زمانًا أم غزاتنا البعيدين مكانًا؟

وما سر ازورارنا عن الإنصات لبعضنا البعض ، عن الحديث الصادق الحميم مع القريب المعاصر المجاور المشترك معنا فى المصير ؟

ما سر القرارات المفاجئة ؟ والتوصيات السرية ؟ والمسئولية الضائعة دومًا ؟ ما سر هذا الميل للانقياد والنفور ممن تولى القيادة ؟ ما سر هذا الشغف بالجديد الجاهز

المعلب والنفور من الموجود أمامنا الذى يحتاج إلى بعض التجديد والتحسين ليتألق ويعمل ويفيد ؟

كيف حدث أننا لا نفكر فى مصطلحات : العصرية ، العقلانية ، التكنولوجيا ، العلم ، والحداثة ، والتقدم، إلا ونستدعى الغرب لأذهاننا؟ كيف حدث أننا لا نقول كلمة بيئتنا ، نفوسنا ، ميراثنا ، ماضينا إلا وتقفز لأذهاننا كلمات الجمود ، والخرافة والتخلف ، والتدهور ؟ ما سر غياب فضيلة الجهاد من نفوسنا ، ونسياننا أن الحضارة الإسلامية لن تبنى من تلقاء نفسها ، ولا بمنحة من الظالمين ، إنما تبنى بالجهاد ؟

ب- الحل : أسئلة عن المستقبل المنشود

كيف نسأل الأسئلة الصحيحة ؟ كيف نحدد قائمة الأهداف الحقة ؟ كيف نوطن القيم الحضارية الدافعة إلى أن نكون فاعلين اقتصاديًا ؟ كيف نؤصل فى نفوسنا حب الاستقلال ومقت التبعية ؟ كيف نعرف حاجاتنا الأساسية (ونميزها عن الثانوية) والجوهرية ونميزها عن الزائفة ؟ كيف تكون حاجاتنا مرتبطة بذواتنا الحضارية العليا ؟ كيف تكون أشواقنا الحقيقية معروفة لنا مصوغة أمامنا محركة وملهمة ؟ كيف نفهم أن الأمة هى نحن ، والوطن هو مجموعنا جميعًا، الفقراء والأغنياء ، الشعوب والحكام ، العامة والصفوة ، وأن أى استبعاد لأى منا هو إنقاص لإمكانياتنا أى إنكار لوجود أى تيار هو تشويه لقسماتنا ؟ كيف ندرك أن التنمية لا تكون إلا ذاتية متدفقة دوافعها بحرية منا ، محكومة غاياتها بمعاييرنا نحن ؟

كيف نحس أن الاستدانة طريق المذلة ؟ والانقياد لغير الله ، هو صراط العذاب الأليم ؟ كيف نثق بنفوسنا التكنولوجية - التقنية ونصدق أننا لسنا ، ولم نكن يومًا ، محدثى تكنولوجيا ؟ كيف نعرف تاريخنا التكنولوجى بحلقاته الموصولة بأنساقنا الاجتماعية الحية ؟ كيف تصبح كلمة المعاصرة معناها أن نكون بحق المعاصرين ، أحرارًا فى بناء نهضتنا الخاصة بنا ، المحكومة بقيمنا نحن ، المحققة لغاياتنا نحن ؟ كيف نفهم أن الانفتاح هو انفتاحنا على أنفسنا ، على أقطارنا ، على أنهارنا وأراضينا ، على قرانا وقبائلنا ؟ كيف نفهم أن الإبداع العلمى ، التكنولوجى ، التنظيمى ، هو ضرورة بقاء ، هو صراط وحيد ، هو الممكن الصحيح

فى آن واحد ؟

كيف نفقه واقعنا بطريق المحب الذى يرى قوى وكنوزا ومزايا محبوبة، كبيرة مزينة ؟ كيف نختلف مع بعضنا البعض اختلاف المحبين ، يرون ما يجمعهم ، يحسون بالفضل بينهم يتذكرون أجمل ذكرياتهم ويوقنون بوحدة مصيرهم ؟ كيف نحب أنفسنا فنتحرك بها نحو غاياتنا الحضارية فى رفق وتدرج ودود ؟ كيف نصبر فى ذروة غضبنا على ماضينا فلا نمزق عرى روابطنا ولا ننسى فضل أجدادنا؟ وكيف نتطهر من الشك فى أننا حقًا مستخلفون من الرحمن على أرضنا ، وأنه بتكليفنا أن نبنى فوقها حضارة عربية إسلامية إنما يكلفنا بقدر سعة نفوسنا؟ كيف يصبح الهم الحضارى فى مستوى الأعمال الصالحات التى تقربنا من الله ؟ كيف نفهم الإنفاق فى سبيل الله ، فهما يربطه بالإسهام الحضارى ، ببناء ما ينفع أهلنا وما يصلح أرضنا ؟ كيف تتكامل ولاءاتنا ، من النفس إلى الأسرة فالعائلة فالقبيلة فالوطن فالأمة وتتواصل ؟ كيف نوقن أن سريان رحيق الحياة الحضارية مشروط بالتوطين الإسلامى لقيمنا ؟ كيف نعلم أن الصناعة والتقنية والتكنولوجيا هى تعبيرات عن كيان حضارى متكامل عضويًا فى حركته للارتقاء والإحسان ؟ كيف نجمع بين القراءتين: قراءة كتاب السنن الكونية والأسباب البشرية وقراءة الشريعة الإلهية جمعا يقيمنا على صراط العزيز الحميد ؟

رابعا : التكنولوجيا الملائمة

شهدنا القرنين الماضيين ونحن نطرح المسألة التكنولوجية طرحا منقوصًا ، فمنذ محمد على فى مصر والبدائل المتاحة هى ثلاثة :

1- تكرار الموروث التقنى أى جمود تكنولوجى .. كل جيل يكرر الجيل السابق عليه .

2- التغيير القسرى بتبنى حكومة وطنية مهمة زرع تقنيات مستوردة بآلاتها وعددها وخبرائها ، فى التربة المحلية ، وكبت كل الاستجابات الاجتماعية المعارضة لاتجاه التغيير وعدم الاكتراث بالتمزقات العميقة فى الأنساق الاجتماعية المرتبطة بالتقنيات المحلية المستبدلة .

3- الإلحاق القهرى بقيام حكومة استعمارية بتحوير التقنيات المحلية وما يرتبط بها من استخدام للخامات ، ونسق للتدريب ، وسوق إشباع الحاجات الأساسية إلى تقنيات ملحقة

بتقنيات مركزية فى البلد المستعمر ، وبالتالى يتم تحوير كل أنساق التعليم والتدريب وسوق الخامات وأنماط الاستهلاك بحيث يصبح المجتمع كله تقنيًّا وتكنولوجيًّا تابعًا للمركز ملحقًا به دائرًا فى فلكه . يتشابه البديلان الثانى والثالث ويختلفان ، أما التشابه ففى أن الأنساق المحلية المرتبطة بالتقنيات الموروثة تمزق أو تشوه .. وبالتالى تقطع الروابط الممكنة والكامنة بينها وبين جوهر الذات الحضارية . أما الاختلاف فهو أن النسق البديل يكون تابعًا للحكومة الوطنية فى الثانى وتابعًا للحكومة الاستعمارية فى الثالث . وفى الحالتين تتوارى المبادرات الأهلية والإبداعات المحلية إذ يقوم التصنيع القسرى على عناصر تهمش المجتمعات المحلية . فهى تعلى من قيمة التمويل وتتبنى المشروعات كثيفة رأس المال، وتعلى من شأن الآلات والعدد والأجهزة المستوردة الحديثة ، الجاهزة ، المتقدمة! هي تزين كل ما ينقص المجتمع وتستنكر كل ما يحوزه من ممكنات تقنية ومزايا تنظيمية . وواضح أن كل هذا يتم بغزو ثقافى لصميم الذاكرة الجماعية ولمكونات الذات الحضارية .

اننا فى بحثنا عن رقى وازدهار الصناعة والتقنية فى وطننا العربى يجب أن ندرك طبيعة العلاقات السببية بينها وبين بقية المتغيرات والعوامل كى يكون بناؤنا مؤسسا على قواعد راسخة فى كيان أمتنا . إن منظومة هذه العلاقات يمكن تمثيلها فى شكل (1) .

وسنقدم فيما يلى ملخصات لمتطلبات كل حلقة أو مستوى بادئين من أدناها :

1-التغيرات التكنولوجية

المطلوب هوالتكنولوجيا الملائمة (تم تعريفها فى عديد من الكتابات السابقة) التى تدرك التكنولوجيا كمتغير حضارى متصل بالنسيج الاجتماعى كله ويكون غايته صيانة ودعم ورقى هذا النسيج .

هى إذن قدرة موجهة نحو استغلال الخامات المحلية بأسلوب يحسن من البيئة الطبيعية وبمساعدة الأهالى ، بإمكاناتهم المحلية الموروثة وما يحوزونه من قدرات مكتسبة فى إحداث تغيير يحسن من نمط حياتهم وفق قيمهم . التكنولوجيا الملائمة تستفيد من أنساق العلاقات الاجتماعية وتنسجم معها فى إبداع تقنيات جديدة أو تجديد تقنيات موجودة تشبع الحاجات الأساسية الحقيقية للأهالى .

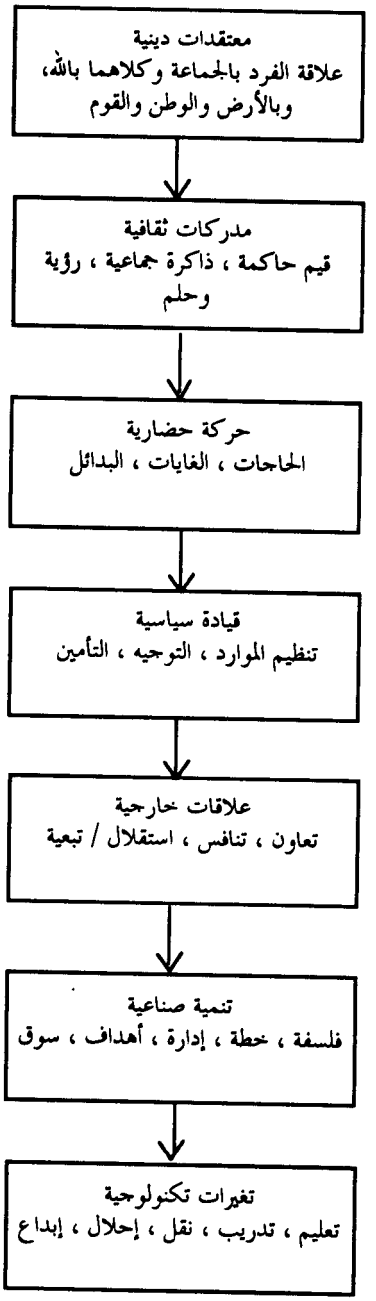
معتقدات دينية
علاقة الفرد بالجماعة وكلاهما بالله، وبالأرض والوطن والقوم
مدركات ثقافية
قيم حاكمة ، ذاكرة جماعية ، رؤية وحلم
حركة حضارية
الحاجات ، الغايات ، البدائل
قيادة سياسية
تنظيم الموارد ، التوجيه ، التأمين
علاقات خارجية
تعاون ، تنافس ، استقلال / تبعية
تنمية صناعية
فلسفة ، خطة ، إدارة ، أهداف ، سوق
تغيرات تكنولوجية
تعليم ، تدريب ، نقل ، إحلال ، إبداع

شكل (1) العلاقات السببية بين الأصول الدينية والفروع التكنولوجية

2-التنمية الصناعية

المطلوب أن تكون جزءا من تنمية ذاتية وشاملة تقوم على الحافز المعنوى الموصول بالتكوين الثقافى والعقيدة الدينية . منظوماتها شعبية ، بالناس وللناس . تقوم على الاكتفاء بالذات والثقة الحضارية فيها والاعتماد على ما تحوزه من إمكانات . هى موصولة بالتنمية : اجتماعية وفردية وطبيعية أيضا.

3-العلاقات الخارجية

المطلوب ترتيب علاقاتنا بهم وفق علاقتنا بذاتنا فنتعاون مع من يحسن إلى ذاتنا الحضارية ونجاهد من يسيء إليها . ولذا تكون الأولوية للأقرب عن الأبعد . تكون الأولوية للتعاون بين الأقطار العربية ، للتكامل بين الدول الإسلامية ، التضامن بين الدول الإفريقية. هؤلاء أولى من الأغيار البعيدة مثل الدول الغربية ، ليس فقط لأنهم أبعد مكانا ، وإنما لأنهم أكثر اختلافا عنا ، قيما وثقافة وحضارة وعقيدة. أن نؤمن بأن الاعتماد الجماعى على النفس ، بأن نفتح أسواقنا وتتحاور حكومتنا وتتعاون شعوبنا ، هو طريقنا جميعًا إلى الاستقلال والنهضة .

4-القيادة السياسية

المطلوب هو إرادة التحرر من الهيمنة. وإدراك أن التكنولوجيا الملائمة هى طريق التحرير لكل المنتجين الشرفاء.. وهى تقييد فقط للطفيليين من السماسرة والمترفين وللمؤسسات الاستعمارية التى تريدنا زبائن دائمين أى توابع دائمين .

5-الحركة الحضارية

المطلوب هو الاختيار الحر للخصوصية الحضارية ، خصوصية الأصول : أصالة الدوافع القومية والرغبات الوطنية والحاجات الاجتماعية ، وخصوصية الغايات : الإسلام لله وعبادته والاستقامة على صراطه ، وخصوصية الوسائل : العدل بين الحكام، التكافل بين المؤسسات والتراحم بين الأفراد ، الإحسان فى العمل ، الإصلاح فى الأرض .

6-المدركات الثقافية

المطلوب القيم التى تزين رعاية أمانة استخلاف الله لنا فى الأرض . قيم تملؤنا ثقة بأنفسنا الحضارية مبنية على ثراء تاريخنا التقنى والعلمى والفنى والحضارى وبما نحوزه من إمكانات . أن نحب أنفسنا ونرضى عن حدودها . أن نحب بيئتنا وأرضنا ونحسن التعامل معها ونقبل على معرفتها فى قسط ودأب وصبر .

7-المعتقدات الدينية

المطلوب جهاد الخوف من الظالمين وجهاد الإعجاب بالمجرمين ، وأن يتأصل الجهاد الحضارى عملا صالحا نتقرب به إلى الرحمن .

خامسا : البيئة الثقافية : مكوناتها مؤثراتها وعلاقاتها

يحور البيئة الثقافية مَواجة عاصفة لأنها تتعلق بالفرد وبكل الأنساق الجماعية التى تربط عرى الجماعة ، تتعلق بالعقائد وبالقيم ، بالميول والتوجهات ، بالعادات والأعراف ، بالتصورات والأفكار . هى القوى التى تفسر ميول العامة وتحيزاتها ، وعاداتها فى التعاون وتقاليدها فى التخاصم ، ما يحركها ويشعل حماسها. وهى أيضا التى تصوغ وعى النخبة وتفسر أساليبها فى التشاور واتخاذ القرارت واستجاباتها للأخطار والتحديات .

وفى عصرنا شكلت وسائل الإعلام وسائط التواصل والتشكيل الثقافى لكل من النخبة والعامة خصوصا فيما يتصل بالحياة العامة الاقتصادية السياسية التكنولوجية الاجتماعية أى الحضارية . وأصبح نجوم هذه الوسائل الإعلامية هم ذوى التأثير الأعلى صوتا فى آراء وتوجهات الجماعة الحضارية .. والناس فى كل زمان على دين ملوكهم وتفضيلات نجومهم . إنما فى عصرنا وفى وطننا العربى تشكل هذه القضية مشكلة مزمنة ، تتبدى فى عجز النخبة عن قيادة العامة وانفصالهما وتبادلهما السخرية والأفكار وقلة الاكتراث ، وهذا يوقعهما معا فى الانقياد للنخبة الغربية مما يهدد الجهد الحضارى القومى بالعقم وقلة الفعالية . لو حاولنا تحليل البيئة الثقافية إلى مكوناتها الأصلية يمكن أن نجد أنها سبعة مكونات :

1-عقيدة دينية تعبدية تتصل بالعلاقة بالله واليوم الآخر .

2- قواعد وأصول تشريعية تنظم المعاملات الشخصية والاجتماعية .

3- قيم أخلاقية تنظم العلاقات الشخصية وتضبط السلوك الاجتماعى.

4- قيم حضارية تنظم الحياة الاقتصادية السياسية العلمية التقنية .

5- تصورات وذكريات وأفكار عن ماضى الذات الجماعية .

6- عادات وتقاليد وأعراف لحاضر الذات الجماعية .

7- ميول ورغبات وتوجهات عن مستقبل الذات الجماعية . وهذه

المكونات تتأثر ، فى وطننا العربى ، بخمسة مؤثرات :

1- الذات الشخصية : الطباع والمواهب والنشأة الأسرية والتربية الجنسية ثم نوع المهنة ونمط الارتزاق ومستوى الثروة وعمر الفرد . فنجد أن ثقافة المهندس غير ثقافة التاجر ، وثقافة الغني غير ثقافة الفقير ، وثقافة المرأة غير ثقافة الرجل ، وثقافة الشاب غير ثقافة الكهل .. إلخ .

2- الذات الدينية : الإسلام كعقيدة تعبدية : الإسلام كشريعة معاملات.الإسلام كمصدر للقيم الأخلاقية والحضارية . الإسلام كمنهج كطريق . تتفاوت تأثيرات هذه الجوانب والقسمات بتفاوت العصور . فمثلا نلحظ أن عصور التقدم والنهضة شهدت الإسلام بتأثيرات كل جوانبه .. أما عصور القعود والخمود فقد شهدت الإسلام يؤثر بجانبه كعقيدة تعبدية فقط، أو قد يزيد تأثيره كشريعة معاملات .

3- الذات القومية : اللغة العربية وآدابها . الوطن العربى وميراث تفاعلاته الحضارية التاريخية . المكونات القبلية والعرقية والحضرية والبدوية .

4- الذات الوطنية : التكوين العرقى السلالى . ميراث التفاعلات التاريخية وخبرتها . العلاقة بالأرض والنهر والبحر والجبال والصحراء . الحكومة وهيكلها ووسائل إعلامها وخبرة علاقتها بالشعب .

ومؤثرات الذات الوطنية على الثقافة هائل لارتباطها المباشر بأسس البقاء وأساليب مواجهة تحدياته . ولهذا فثقافة عرب الشام غير ثقافة عرب شمال إفريقيا، وثقافة أهل مدينة دمشق غير ثقافة أهل سهول كردفان ، وثقافة قبائل الجبال اليمنية غير ثقافة قرى الدلتا المصرية غير ثقافة واحات الصحراء الليبية .

5- الأغيار الغربية : تشكل مؤثرات الأغيار الغربية ثلاثة أنماط من خلال شكل تفاعلها مع البيئة الثقافية بمكوناتها السبعة ..

أ-أغيار غربية استعمارية : حكومات ومؤسسات وجيوش .

ب- أغيار غربية قيادية : حكومات ومؤسسات ووسائل إعلام

ج- أغيار غربية تعاونية : أفراد ومؤسسات . هذا وتحتاج دراسة التأثيرات على المكونات الثقافية إلى أبحاث مستقلة مستفيضة وسنكتفى هنا برسم مصفوفة تخطيطية للمؤثرات والمكونات فى وطننا الثقافى كما فى شكل (2) . والمصفوفة **** تعنى تأثيرا شاملا مهيمنا (100٪) مثل

شكل (2)

		المؤثرات الثقافية				
		الذات الشخصية	الذات الدينية	الذات القومية	الذات الوطنية	الذات الغربية
المكونات الثقافية	عقيدة تعبدية		****			
	قواعد تشريعية		**		*	*
	قيم أخلاقية	**	*		*	
	قيم حضارية				*	***
	ذكريات الماضي	**		*	*	
	أعراف الحاضر			*	**	*
	توجهات المستقبل				*	***

تأثير الذات الدينية على عقيدتنا التعبدية . أما *** فتعنى تأثيرًا قويًّا غالبًا (75٪) مثل تأثير الأغيار الغربية على قيمنا الحضارية وتوجهاتنا المستقبلية . وتعنى المصفوفة** تأثيرًا جزئيًّا ملموسًا (50٪) مثل تأثير الذات الدينية على قواعدنا التشريعية والذات الوطنية على تقاليدنا وعاداتنا وأعرافنا ، وأخيرًا تعنى المصفوفة* تأثيرًا ضعيفًا(25٪) مثل تأثير الذات الوطنية على قواعدنا التشريعية وقيمنا الأخلاقية وقيمنا الحضارية ، وتأثير الذات القومية على ذكرياتنا وتصوراتنا وتقاليدنا . أما عدم وجود أى علامة فيعنى أن التأثير منعدم أو شبه منعدم..

سادسا : الانفصام الثقافى العظيم

يمكننا الآن - بتأمل مصفوفة المؤثرات والمكونات - أن نعيد تركيبها بطريقة تمكننا من إلقاء الضوء على الأسباب الكامنة وراء محتوياتها ، لعل هذا يفيدنا فى الانتباه إلى عوامل تشكل وعينا وقيمنا وتوجهاتنا . يمكن الآن أن نقسم المكون الثقافى إلى

جزأين أو مجموعتين:

1- المكون أو الكيان الشخصى : العقيدة التعبدية - القيم الأخلاقية - قواعد المعاملات التشريعية - ذكريات الماضى : تتعلق بالحياة العائلية والشخصية والجنسية .

2- المكون أو الكيان الحضارى : قيم حضارية- توجهات مستقبلية - أعراف حاضرة تتعلق بالجوانب السياسية ، العلمية ، الفكرية ، التعليمية ، المؤسسية ، المهنية، الإعلامية، التقنية ، الصناعية ، المدنية.. فى حياة الجماعة ، ونلاحظ أن الصورة الحاضرة تعكس استقطابا مذهلا ومرعبا .. إذ يبدو أن بيئتنا الثقافية تعكس انفصام وعينا الثقافى على النحو التالى :

1- الكيان الشخصى الخاص يتحدد بالعلاقة بالأسلاف والذات الدينية .

2- الكيان الحضارى العام يتحدد بالعلاقة بالحكام والأغيار الغربية .

وفيما يلى تصوير وصفى تفصيلى لهذا الانفصام :

ا- العلاقة بالحكام والأغيار الغربية

أسس محمد على باشا فى سنوات حكمه لمصر تقاليد العلاقة الوثيقة بين الكيان الحضارى والغرب . والحكم - عندما جعل أساس بناء دولة حديثة - هو : هيئة استشارية فرنسية ، إداريون جراكسة ، مبعوثون إلى فرنسا . بدأت العلاقة بالتقليد والاقتباس من نظم التعليم ، المصانع الحربية ، تقنيات زراعية وصناعية وعسكرية . وأساس التوجه هو أن البدائل الحضارية اثنان لا ثالث لهما :

* الموروث الإسلامى من المماليك أو العثمانيين . وهذا منتج للخمود والضعف كما دللت على ذلك هزيمة المماليك وتقاعس العثمانيين أمام الحملة الفرنسية لغزو مصر .

** الوافد الغربى من الخبراء والعلوم والصناعات والمعدات والأسلحة . وهذه النخبة ، بعد تعلمها واستيعابها، منتجة للقوة والازدهار .

لاحظ أن هذا الطرح لم يكن شعبيا ، إنما كان حكوميا فوقيا ، وهكذا كان النهوض قسريا مرغما . إنها السلطة الوطنية المسلمة التى كانت الحامل والمروج والمزين لطلائع الحضارة الغربية ورموزها الثقافية وأدواتها التمدنية . وهى سلطة مستقلة سياسيا عن الغرب مناطحة له فى نفوذه مقاومة له فى مستعمراته . ومثل محمد على كان الخديو إسماعيل والرئيس عبد الناصر .

إلام أدى هذا المزج بين الاستقلال

السياسى والتبعية الحضارية ؟ لقد خلق فى نفوسنا جدارا عاليا حال بيننا وبين التمركز فى أنفسنا ؛ إذ إن مركزنا الحضارى ظل دوما محتلا بهؤلاء الأغيار الغربيين ، بأفكارهم وبنوكهم وخبرائهم وعلمائهم وسلعهم وتقنياتهم وفنونهم . أصبحنا نرى أنفسنا عبر نظارة رؤيتهم لنا ، نصور حياتنا بألفاظهم وتعبيراتهم ، نسمى مشكلاتنا بصياغاتهم ، نعبر عن آمالنا برموزهم .

توغل الغرب فينا فجعلنا (برضانا) التابع المستهلك له . تراه فى كافة جوانب حياتنا ، الجماهير الشعبية تستهلك سلعه وتقلد موضاته، والصفوة المثقفة تتبنى مناهجه وتروج لقيمه ورؤاه ، والنخبة السياسية تتبع توجيهاته وتستشيره بمعاييره . فى كلمة واحدة : أصبح للغرب المرجعية الحضارية فى بلادنا .

قد تتساءل : وماذا عن عصور التبعية السياسية ؟ والجواب أن الإلحاق الحضارى يشتد ويتعمق فى أثنائها حتى تصبح شعوبنا مقتنعة بأن نفعها ومصلحتها أن تتبع هذا القائد القوى ، وأن تخدم هذا الغنى الوجيه ، وأن تتأسى بهذا المتحضر الراقى . وعبر قرنين تراوحت فيهما على بلادنا عهود الاستقلال والاحتلال العسكرى، ظلت الهيمنة الحضارية فى ازدياد مثابر مستمر حتى أصبحنا الآن فى التسعينيات نؤمن بأن الرجل الغربى هو السوبرمان المتفوق ، وأن العربى هو الغلبان المتدنى الذى ينبغى - من أجل مصلحته - أن يطيع القائد ويتلقى منه المساعدات والقروض والمنح ، سواء كانت أفكارًا أم دساتير، أسلحة أم تقنيات ، أموالاً أم مفتشين وخبراء .. وأصبح لسان حالنا يقول : أيها الغرب أنت مصدر الخير والثروة فارزقنا وانفعنا ، أنت مصدر العلم والحكمة فانصحنا واهدنا ، أنت مالك القمح والتكنولوجيا ، أنت حسبنا ونعم الوكيل ، أنت مالك البوارج والصواريخ ، أنت حامينا ونعم النصير .

لقد بلغت بنا قابليتنا للإلحاق والتبعية حدا إلى أننا اتخذنا الغرب إلها تخشى حكوماتنا مخالفته وتسعى شعوبنا لإرضائه ونجاهد كلنا فى أن نستقيم على توجيهاته . لقد تمثلت هذه البيئة - تقنيا واقتصاديا - فى العقدين الأخيرين فى فلسفة وممارسة للتنمية الصناعية قوامها :

- استثمار عائدات النفط العربية فى بنوك الغرب ومؤسساته الاستثمارية .

-اقتراض البلاد العربية الفقيرة من بنوك الغرب بفوائد ربوية رهيبة .
وهكذا أصبحت أموال العرب الأغنياء رهينة فى بورصات الغرب .. وأصبحت اقتصاديات العرب الفقراء أسيرة لديون الغرب . وكل من الفريقين أخذ مقابل الأموال مشاريع (صناعية أو خدمية أو بنية أساسية) تسليم مفتاح . علبًا جاهزة مكيفة صممها وأبدعها وأنتجها الغرب . وما على العرب إلا الاستعمال ، التشغيل . حتى الصيانة لا يستطيعونها لأنهم لا يعلمون ما بداخل الصناديق الجاهزة . وكل علبة تكنولوجية جاهزة كانت مقابل قطعة من الاستقلال التقنى ، مقابل الحق الطبيعى فى الإبداع التكنولوجى .

كيف ظلمنا أنفسنا هذا الظلم ؟ كيف ضعف إحساسنا بالإسلام كمرجع حضارى ، كملهم ومحرك لسعينا للتمدن والعمران وإصلاح الأرض ؟ للإجابة دعنا ننظر إلى علاقاتنا بالأسلاف

ب- العلاقة بالأسلاف والذات الدينية

كيف حدث الاستقطاب والانفصام الذى جعل علاقتنا بالتراث الإسلامى تقتصر على فقه الإرث والأحول الشخصية والعبادات ؟ ما هى الوقائع والأسباب التاريخية التى جعلت الفقه الإسلامى هو فقه الفروض التعبدية للكيان الشخصى الخاص وأنسته أن يكون أيضًا فقه الفروض الحضارية : فروض الجهاد لتأدية أمانة استخلاف الله لنا فى وطننا ، والاجتهاد لنكون شهداء على الناس ، وفروض عمل الصالحات الحضارية ، والأمر بالمعروفات الحضارية والنهى عن المنكرات الحضارية ..؟

الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مجلدات ، وما نحاوله هنا هو مجرد الإشارة . إن البداية كانت الفتنة الكبرى سنة ٤٠ هجرية ، وتحول الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض إلى دولة أموية أساس الشرعية السياسية فيها منقطع الصلة بالإسلام .

منذئذ توالت الدول الإسلامية: عباسية ، أموية ، أندلسية ، طولونية ، إخشيدية ، فاطمية ، أيوبية، مملوكية ، صفوية ، غزنوية ، عثمانية . ومع كل عصر تنفصم عرى ارتباط أحد مقومات الحضارة بالإسلام الحنيف .

ففى الدولة الأموية والعصر العباسى الأول (41هـ - 214هـ) اقتصر الانفصام على الجانب السياسى

شكل (3)

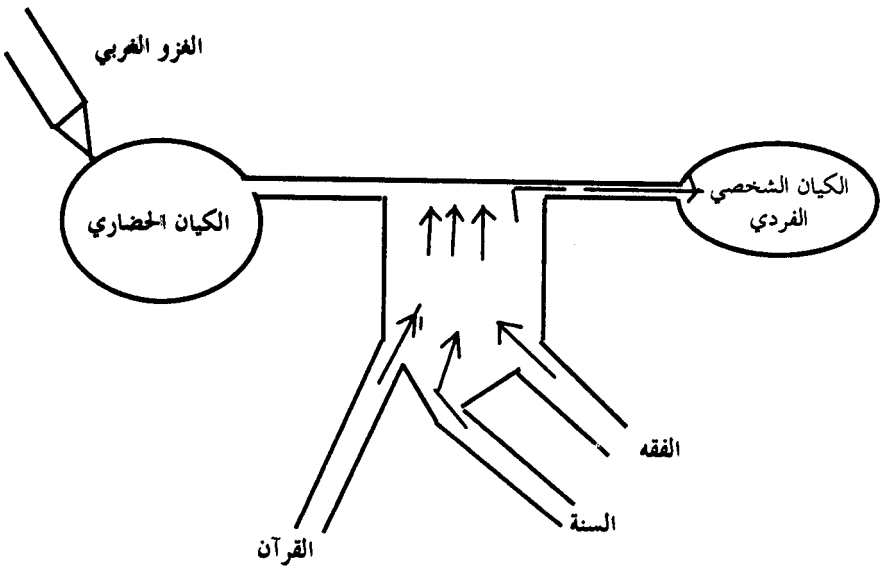

الداخلى ، غياب الشورى والمشاركة والمساءلة الشعبية . ثم شهد العصر العباسى الثانى (250هـ - 490هـ) وما عاصره من الدول الطولونية والإخشيديةوالفاطمية والأندلسية ، انفصام الجوانب الأدبية والفنية عن الإسلام . ثم بدأ عصر الحروب الصليبية والغزوات المغولية التتارية وما عاصرها من الدول الأيوبية والمملوكية البحرية ثم البرجية فى مصر ، والسلجوقية والغزنوية والصفوية فى تركيا وإيران وشرق آسيا (500 هـ- 800 هـ) وفيه اتسع الخرق ليشمل انفصال الجوانب العلمية والفكرية والتعليمية والمهنية عن الإسلام الحنيف. ثم جاء العصر العثمانى(857 هـ- 1205هـ) ليشهد اكتمال الخمود الحضارى بانفصام الجوانب المدنية - التنظيمية والصناعية- التقنية عن الإسلام الحنيف . وهكذا كان المشهد الحضارى ، الذى شهده نابليون فى غزوه مصر وسجله علماء حملته فى كتاب وصف مصر ، مشهدا يمكن تصويره فى الشجرة المبينة فى شكل(3) .

وما فعله الغرب بكياننا الحضارى فى القرنين الأخيرين (1205هـ

شكل (4)

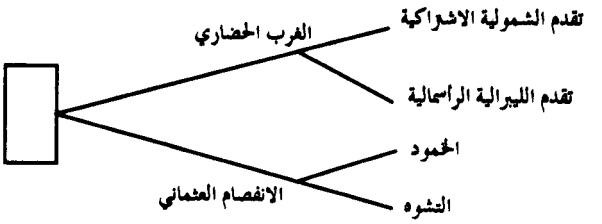

1412 هـ) ذوشقين : **أول الشقين** قطع الصلة التى تصل غصن الكيان الحضارى بالجذور الإسلامية **والثانى** حقن هذا الكيان بأمصال غربية تحوله تماما إلى ملحق بالحضارة الغربية شكل (3) ، بحيث بدا أن البدائل الحضارية أمامنا طوال قرنين هى ما نصوره فى: شكل (4) :

لقد حجب عنا البديل الثالث ، البديل الصحيح أخفى عنا ، لقد قدمَّ لنا الإشكال أنه اختيار بين تبعيتين :

إما تبعية مقلدة ملحقة بالدولة العثمانية المستبدة الجامدة حضاريًّا ، أو تبعية مقلدة ملحقة بالدول الغربية الحرة الناهضة حضاريًّا .

ونسى من روجوا لهذا الاختيار أن نهضة أوروبا لم تقم على نبذ الأصول، على العكس ، هى قامت بإعادة الارتباط مع الأصول الإغريقية الرومانية .. والنهضة الأوروبية لم ترفض المسيحية كدين ، إنما رفضت السلطة الدينية ، أى هيمنة الكنيسة على الحياة الحضارية المدنية . وهى تتلمذت على الحضارة الإسلامية ونهلت من كنوزها العلمية والطبية والتقنية .

إن سنن النهضة الحضارية سنن إلهية ينهض بها من يتبعها ، سواء كانت النهضة هى للحضارة الإسلامية أم الغربية أم الصينية أم اليابانية . وليس من هذه السنن التبعية لحضارة أجنبية والدوران فى فلكها والاستمداد من الفتات الذى تلقيه . إن الوسيلة جزء من الغاية ، ولهذا فلا يمكن أن تكون غاية بناء حضارة إسلامية مستقلة مبدعة قوية متحققة بوسيلة التبعية والاقتراض والاستهلاك والترديد لحضارة أجنبية لسببين :

(1) أن الحضارة الغربية أجنبية أى أن جذورها أجنبية ولهذا ،

فمهماحسنت نيتها فى العطاء ومهما حسن اجتهادنا فى الأخذ ، تظل عاجزة عن تغذية فروعنا الحضارية .

إن غاية ما يمكن هو الحقن والتلقيح ، والاستثارة المتحدية (انظر الشجرة)، أما التغذية الشاحنة المستمرة فلا يمكن أن تكون إلا من أصول عقيدتنا الإسلامية.

(2) أن الحضارة الغربية مختلفة عنا جوهريًّا فى نظرتها للوجود والكون ؛ إذ إنها قائمة على أن الوجود هو الدنيا والموت هو العدم ، وبالتالى فغايتها تعظيم المتاع الدنيوى (قوة المال ، جاه السلطة ، راحة الرفاهية ، لذة الإثارة الحسية ، ..) وهى أظهرت كفاءة وقدرة فى سبيل تحقيق هذه الغاية .. وقدراتها التقنية التكنولوجية جزء من هذا ..

سابعا: البديل الصحيح وأنساق الانتماء الاجتماعى

إن البديل الصحيح يبدأ من معرفة هوية حضارتنا . إنها حضارة ترى الوجود فصلين : دارعمل وابتلاء وحياة قصيرة ، ودار جزاء فى حياة أبدية . ولذا فغايتها تعظيم الثواب فى الحياة الآخرة . وإلى هذه الغاية يكون جهدها وسعيها ، بالعمل الصالح ، والجهاد النافع ، والعدل والإحسان والصبر والإيمان .

الحضارة بأسرها وسيلة لعبادة الله، الصناعة والتقنية ، والقتال والتنمية ، والإبداع العلمى والتكنولوجى ، هى وسائلنا للاستقامة على صراط العزيز الحميد ..

ونحن لا نصل إلى هذه الغاية باستبدال التبعية للغرب المعاصرين بالتبعية للأسلاف الغابرين . إنما نصل بأن نجتهد كما اجتهد أصلح وأتقى أسلافنا ـ أن نواجه تحديات زماننا كما واجهوا تحديات زمانهم ، بالعدل والقسط ، والجهاد والبر ، بتدبر سنن الله فى الكون ، وطاعة شرع الله فى القرآن .

من حق كل جيل أن يتصل بالقرآن مباشرة ويستلهم السنة النبوية دون وساطة وأن يُعْمِلَ عقله مجتهداً فى ربط الكيان الحضارى فى العمران والتقنية والسياسة والاقتصاد ـ بالذات الوطنية ، العربية والدينية .. من حق كل جيل أن يكون له ميزانه الخاص فى بعثه التراث وفى اختياره الصالح المجدى منه فى مواجهة إشكالات واقعه ومتطلبات نهضته .

إن صميم الإيمان بأن الإسلام دين كل البشر فى كل العصور فى كل الأقطار والأقاليم والبيئات ـ يدلنا على

الصراط الحضارى المستقيم ، إنه صراط المجاهدة الأخلاقية والاجتهاد الثقافى ، والجهاد الحضارى يقوم به كل جيل فى كل جماعة فى كل إقليم فى كل عصر .

وهذه المنظومة المكونة من البشر (الجيل) والمكان (الأقليم) والزمان (العصر) تسمى البنية الاجتماعية ، وهى دائما تتكون من أنساق للانتماء تتسع وتكبر بادئة من أصغر الدوائر : الفرد . ودوائرها تضم الأسرة فالعائلة فالعشيرة فالقبيلة أو القرية أو الحى ، وتتسع لتشمل المدينة فالمحافظة (الإقليم) فالقطر ، وتمتد للقوم فالشعب فالإنسانية كلها ، شكل (5) ، فالإنجليزى مثلاً إقليمه ويلز ، وقطره إنجلترا وقومه الأنجلو ساكسون ، وأمته الأوروبيون والأمريكان من كاليفورنيا حتى سيبيريا . والمصرى مثلاً إقليمه شمال الصعيد (محافظة الفيوم مثلاً) وقطره مصر وقومه العرب من العراق حتى المغرب ، وأمته المسلمون من إندونيسيا حتى نيجيريا . انظر شكل (5) .

والمسألة ليست هى تعدد دوائر الانتماء . إنما هى العلاقة البناءة المثرية بينها .. فإن وضعين يمكن أن يؤثرا بالسلب على حيوية البنية الاجتماعية: **أولهما** أن تتصادم هذه الانتماءات فتتفرق القوى فى هذه النزاعات وأمثلة ذلك تصادم الأكراد والعرب ، أو السنة والشيعة ، أو القوميين والإسلاميين ، أو الوطنيين ضد القوميين ، **وثانيهما** أن تتفاصل هذه الانتماءات وتنعزل عن بعضها البعض، وتتقطع بينها الروابط فيصبح مثلاً انتماء الفرد لأسرته النووية فاصلاً له عن الانتماء لعائلته الممتدة ، مثلما يحدث فى المدن العربية الضخمة ، أويكون انتماء الفرد لعائلته الممتدة فاصلاً له عن الانتماء لمدينته ، أو العكس عندما يكون انتماء الفرد لوطنه فاصلاً له عن الانتماء لأسرته النووية ...

والقوة الموحدة الرابطة لهذه الانتماءات هى قوة ترتيبها فى سلم قيمى واحد تؤدى فيه كل دائرة للتى تليها .. وللغرب نمطان فى هذا الترتيب :

النمط الليبرالى الرأسمالى : الأضيق والأخص هو الأعلى المهيمن . فالنفس أولاً ثم الأسرة ، ثم العائلة .. ثم القوم ثم الأمة .. أى إن أسرتى – مثلاً – أولى بى من عائلتى ، وكلاهما أولى بى من قومى ..

شكل (5)

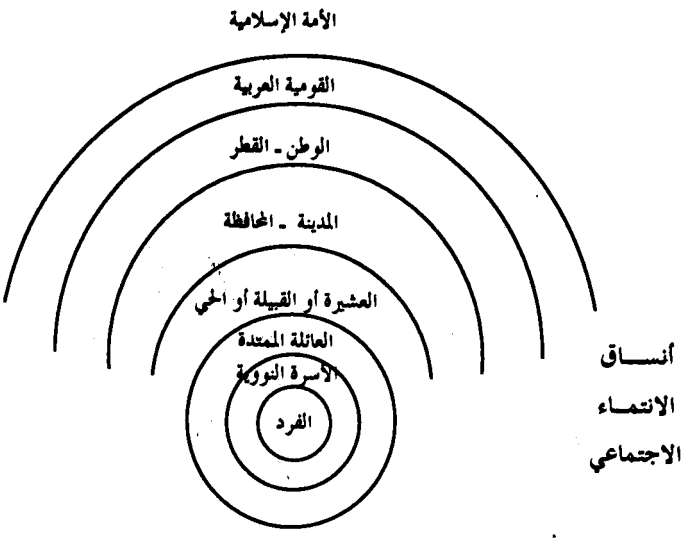

وهكذا .

النمط الشمولى الاشتراكى :

الأوسع والأشمل هو الأعلى المهيمن فالأمة أولاً ثم القوم ، ثم الوطن .. ثم العائلة ثم الأسرة .. أى إن وطنى - مثلاً أولى بى من عائلتى ، وكلاهما أولى بى من أسرتى ..

فى النمط الأول المحلية هى الطريق للعالمية ، والقومية هى الطريق للإنسانية، وفى النمط الثانى العكس هو الصحيح، فالانتماء الوطنى هو الطريق للانتماء الأسرى ، والانتماء للأمة السوفيتية مثلاً هو الطريق للانتماء للقومية الأذربيجانية .. وواضح أننا فى تاريخنا الحديث تراوحت أربطتنا بين النمطين .. ففى عصر عبد الناصر مثلاً كانت الأمة العربية أولاً ، ثم مصر ، وفى عصر السادات انعكس السلم ، لتصبح مصر أولاً ، ثم الأمة العربية ..

والسؤال الآن هو ما هو النمط الإسلامى ؟

واجتهادنا أن الإسلام حذر من اتباع كل من النمطين ؛ لأن فى اتباعه

وحده طغيانًا ، طغيان الخصوصية الفردية فى الأول ، وطغيان الشمولية الجماعية فى الثانى ، لأن الحق ليس بالضرورة دائما مع أحدهما ، ففى مجال التحذير من النمط الخصوصى الفردى .. ينهانا الإسلام عن اتباع أهوائنا الفردية : ﴿**واتبع هواه فتردى**﴾(طه : ١٦) ، ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله** ﴾ (الجاثية : ٢٣) أو عن جعل أقاربنا أولى بنا من الانتماء إلى الله . ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم .... أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره**﴾ (التوبة :٢٤) إنما الأعلى والمهيمن هو الله وحده .. كل الأنساق مهما ضاقت واقتربت ... مخلوقات خاضعة.. تهتدى فقط إن أطاعت الله.

وفى مجال التحذير من النمط الشمولى الجماعى ، يحدثنا القرآن عن أقوام بكاملهم ضلوا .. مثل قوم عاد، وقوم لوط ، وقوم نوح ، وقوم فرعون.. والحق كان فى جانب أفراد، لوط ، نوح ، ومؤمن آل فرعون . ويمتلئ القرآن بالتحذيرات من اتباع الآباء إن ضلوا . والرسول بقتاله قبيلته قريشًا الكافرة أعطانا نموذج الإسلام.. وهو أن الأعلى المهيمن هو الله وحده..

وكل هذه الأنساق ودوائر الانتماء متساوية فى خضوعها للحق ، أى لا هيمنة ولا أولوية للوطن مثلاً على العائلة بحكم السعة والشمول ، ولا هيمنة ولا أولوية للأسرة مثلا على الأمة بحكم القرب والخصوصية ، إنما الهيمنة لله وحده ، رب الأسرة ورب الأمة ، رب النفس ورب العشيرة . وتتحقق الصلة بين هذه الأنساق والدوائر بولائها لله وطاعتها له وسعيها لرضاه ...إنها تتواصل عبر تمسكها بعروة الله الوثقى واعتصامها بحبل الله وحده . حينئذ يجعلها الله بنعمته إخوانًا فى الإسلام ، تتعاون على البر التقوى وتتواصى بالحق والصبر .

ثامنا : العلاقة بين البيئة الثقافية والتنمية الصناعية

لا تؤثر البيئة الثقافية فى التنمية الصناعية مباشرة ولكن عبر آليات المؤسسات السياسية وأنساق الانتماء الاجتماعى والهياكل الاقتصادية الفاعلة . ولكى نكتشف مواطن الخلل والنقص دعنا أولاً نضع تصورًا للعلاقة الصحيحة . والتى هى فى رأينا منتجة

للتكنولوجيا الملائمة . والشكل التخطيطى (شكل 6) يبين هذه العلاقة والأنشطة والمؤسسات الوسيطة .. والتى نتصور أنها لو اكتملت لأنتجت تكنولوجيا ملائمة تتوافر فيها الشروط الخمسة التالية :

1-مشبعة للحاجات الاقتصادية الحقيقية ، محققة للغايات الحضارية .

2- مجددة محسنة للكيان الاجتماعى، ومستفيدة من إمكاناته ،وموظفة لفعالياته .

3-مستقلة فى تدبيرها للموارد ، ومعتمدة على خامات محلية ، وتقنيات ذاتية .

4-موصولة بالأصول الحضارية وخبرات التراث التقنى .

5- محكومة فى اختياراتها وتوجهاتها بقيم الإسلام العليا : القسط والبر والاستقامة ، والشورى والتراحم ، والعدل والإحسان ، والصبر والتوكل.

ومن التأمل فى الشكل التخطيطى يمكننا الآن أن نتبين مواطن الخلل والذى يمكن أن يصيب أى وظيفة (ممثلة بدائرة أو مربع) أو يصيب الصلة أو العلاقة بين وظيفتين (ممثلة بخطوط وأسهم) . ومن عرف الصحة عرف المرض .

مواطن الخلل فى البيئة الثقافية

(1) **ضعف العقيدة الدينية** : إيثار الحياة الدنيا - الجهل بآيات الله فى القرآن وفى الكون أو الإعراض عن بعضها - الشرك (خشية المستبدين أو الطمع فيما عند المستعمرين) - القعود عن الجهاد الحضارى - التخاذل عن القيام بالشهود الحضارى.

(2) انفصام الذاكرة الجماعية عن موروثها الحضارى وخبراتها التقنية وتاريخها الجهادى وعبر ماضيها ودروسه .

(3) الاغتراب عن الذات وإحلال ذات الأغيار بدلها . كأن يرى الشعب ما تراه الحكومة ، أو تقلق الأمة على ما يقلق مستعمريها ، أو يتحيز قوم ضد من يعادى غاصب أرضهم .

(4) العمى عن كنوز الوطن ، وموارده الطبيعية وثروته البشرية والجهل بخصوصية تكوينه النفسى وتحيزاته الحضارية .

(5) تبنى قيم متنافرة مع ميول الشخصية الحضارية .. مثلا : تبنى قيمة الموضوعية التشتتية الباردة فى شعب يتميز بالوجدانية التشخيصية الدافئة .

(6) غياب قيمة الإحسان فى أداء الأمانات ، فى القيام بالأعمال .

شكل (6)

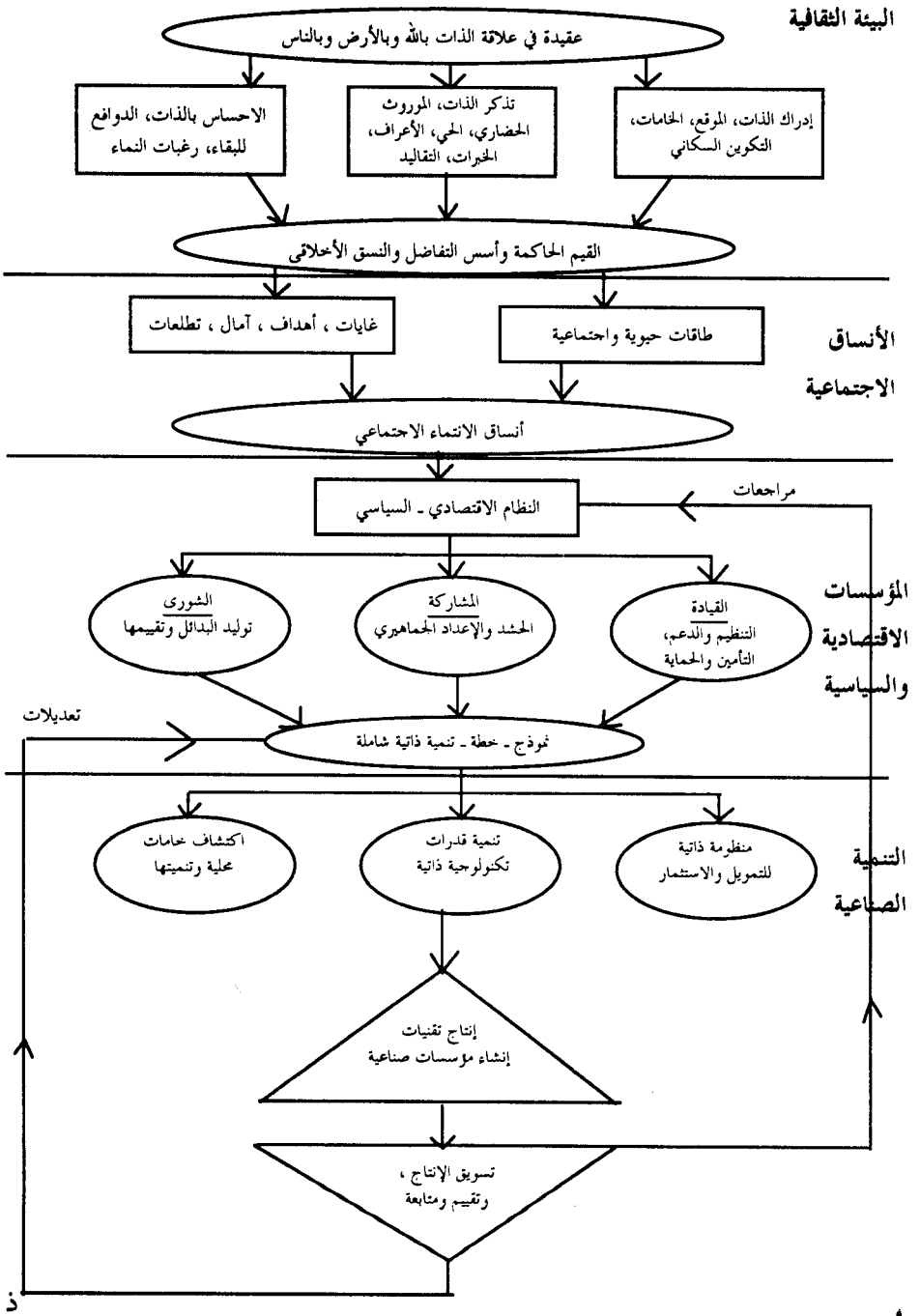
البيئة الثقافية
عقيدة في علاقة الذات بالله وبالأرض وبالناس
الاحساس بالذات، الدوافع للبقاء، رغبات النماء
تذكر الذات، الموروث الحضاري، الحي، الأعراف، الخبرات، التقاليد
إدراك الذات، الموقع، الخامات، التكوين السكاني
القيم الحاكمة وأسس التفاضل والنسق الأخلاقي
الأنساق الاجتماعية
غايات ، أهداف ، آمال ، تطلعات
طاقات حيوية واجتماعية
أنساق الانتماء الاجتماعي
مراجعات
النظام الاقتصادي ـ السياسي
المؤسسات الاقتصادية والسياسية
الشورى
توليد البدائل وتقييمها
المشاركة
الحشد والإعداد الجماهيري
القيادة
التنظيم والدعم، التأمين والحماية
تعديلات
نموذج ـ خطة ـ تنمية ذاتية شاملة
التنمية الصناعية
اكتشاف خامات محلية وتنميتها
تنمية قدرات تكنولوجية ذاتية
منظومة ذاتية للتمويل والاستثمار
إنتاج تقنيات
إنشاء مؤسسات صناعية
تسويق الإنتاج ،
وتقييم ومتابعة
ذ
و

وذلك استتبع ضمور الاهتمام بالدأب على التدريب المهارى والحسى وتغيب قيم تمجد التجريب والمحاولة والمبادرة والمثابرة على المحاولة .

(7) غياب قيمة تعلى من شأن علو الهمة الحضارية ، وسعة وشمول الأحلام المستقبلية ، وتشجع التخيل الطموح المؤمن .

مواطن الخلل فى النظام السياسى الاقتصادى

(1) المركزية فيما تشله المركزية ، واللامركزية فيما تفككه اللامركزية .

(2) عجز القيادات عن بلورة إرادة سياسية قوية لتحقيق الغايات وسقوطها فى التبعية - دونما قصد - للمراكز المريدة الأجنبية .

(3) غياب الشرعية الجماهيرية وبالتالى نقص الثقة وغلبة الشكوك فى علاقة الحكومة بالأهالى .

(4) غياب الشورى وغلبة الاستبداد الفكرى وتقلبه .

(5) سلبية الجماهير وعزوفها عن المشاركة فى الجهاد الحضارى .

مواطن الخلل فى التنمية الصناعية

(1) الجمود التقنى : ويعنى جمود القوى الإبداعية ، فيميل كل جيل إلى تكرار أفكار وممارسات وتقنيات الجيل الذى سبقه . مثلاً جمود تقنية الحرث (وآلاتها فأس ومحراث) والرى (وآلاتها ساقية وشادوف) عبر عصور ممتدة .. تقنية أوانى الفخار ، أقفاص الجريد ..

(2) التغيير بالاستيراد : استيراد نظم الإنتاج ، آلات الورش ، قوالب الصب ؛ تقنيات الإنتاج ، التصميمات والرسومات ، برامج التشغيل وقواعد الصيانة .. إلخ . والأمثلة كثيرة فى صناعة السيارات والتليفزيونات، وغيرها ، حيث يكون استيراد نظام إنتاج ومعداته .. هو الطريقة الوحيدة للتغيير .

كل من الجمود التقنى والتغيير بالاستيراد وجهان لعملة واحدة ، هى غياب التجدد الذاتى ، غياب القوة الذاتية الدافعة للتحسين لتطوير الموجود من داخله .. وتمتد عبر وطننا العربى قرى تتدهور بفعل الجمود التقنى وحواضر تنمو بالاستدانة .

(3) غياب رؤية لخطة تنمية ذاتية شاملة .

(4) استخدام تقنيات ملوثة للبيئة مفرطة فى الموارد ، أو نظم انتاج تمزق روابط الأنساق الاجتماعية .

(5) غيبة المساءلة والتقييم والمراجعة والمتابعة .

تاسعًا : نحو نموذج إسلامى للنهضة الحضارية

إن الذى نبتغيه هو مشروع للتنمية الصناعية فى وطننا العربى يكون مكونًا عضويًا من تنمية ذاتية شاملة كافة جوانب الارتقاء الاجتماعى والاقتصادى والثقافى . وهذه التنمية ذاتية ، بمعنى أنها نتيجة لسعى جماعى لكافة قوى الأمة لتحقيق ذاتها الحضارية ، وهى بدورها سبب ومقوم مهم لهذا الجهاد الحضارى .

أ- الشروط والخصوم

المشروع بهذا التعريف له ثلاثة شروط ، أعمدة تؤسسه ، وثلاثة خصوم ، يمكن أن تهدمه .

الشرط الأول هو الاستقلال الملهم للتجدد من الذات الحضارية تجاه غايات تختارها وترتضيها ووفق منطقها وقيمها وتحيزاتها وخصوصية تكوينها البشرى . الجَيشان والزخم هنا مصدرهما الذات وكنوز خبراتها التاريخية وثرواتها الطبيعية ورسوخ ثقتها فى أن اعتمادها على ما وهبها الله كاف ليغنيها عن التواكل على الآخرين .

وخصم هذا الشرط إذن هو الشك فى الذات وفى صحة توجهاتها وقوة وثراء تكوينها . هذا الشك يجعلها قابلة للخضوع للهيمنة الحضارية الغربية .

والشرط الثانى هو حرية المواطنين السياسية ، وحقهم فى الشورى وواجبهم فى المشاركة . فى هذا المناخ تشتعل الرغبة فى التحسين التقنى والكشف العلمى والابتكار التكنولوجى.

وخصم هذا الشرط هو الاستبداد الفكرى ، والطغيان الهيكلى الحكومى وقابلية أنساقنا الاجتماعية للانضغاط تحت وطأته فلا تمارس حقها فى الشورى وتقعد عن واجبها فى المشاركة .. وساعتها تخمد قوى التجدد والإبداع والاجتهاد الذى أمرنا الله به .

والشرط الثالث هو الاعتصام جميعًا ، نحن الأفراد والأسر والعائلات والقبائل والشعوب العربية، بحبل الله المتين .

وعندئذ يجعلنا الله بنعمته إخوانًا فى الإسلام نتآزر اقتصاديًا على البر، ونتعاون حضاريًا على التقوى، ونتضامن سياسيًا على العدل، ونتواصى ثقافيًا بالصبر وبالحق . اعتماد جماعى على النفس العربية الإسلامية التى تجمعنا ، انفتاح نفوسنا

الشخصية وتحاورها فى صدق يصفى نزاعاتنا ويركب تناقضاتنا فى كل يوحده إسلامنا جميعًا لله الواحد .

وخصم هذا الشرط هو النعرات القبلية ،والقروح المذهبية ، والأطماع الحدودية ، والتعصبات الطائفية، والتفاخرات الشعوبية . هو تناسى ما جمعنا وما يجمعنا الآن ، هو التحلل من مواثيق عهودنا فى الجوار والأخوة والتضامن ، هو التنكر للفضل بيننا هو أن نتبع أهواءنا ، ونقطع روابط أرحامنا.

ب- الجهاد الحضارى

هذه المهمة التاريخية هى أمانة فى عنق جيلنا يحاسبنا الله إن قعدنا عنها أو أخرناها . وتسارع التحولات العالمية وانهيار الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة بالهيمنة، وممارستها لها فى تحطيم العراق وتشتيت العرب يجعل المسارعة فى درء الخطر واجبًا حتميًا ، أى إن المهمة عاجلة جدا .

هذه المهمة تحتاج منا إلى مجاهدة وجهاد واجتهاد .

فأما المجاهدة فهى لما فى قلوبنا من أنبهار بالغرب وإعجاب بحضارته ، مجاهدة لما فى عقولنا من توهم لعالمية طريق الغرب وإنسانيته ، وبالتالى لصلاحية أسلوبه وغاياته لنا ، مجاهدة لما فى إرادتنا من ميل إلى الانقياد لتوجيهات الغرب والسعى إلى إرضائه. نحتاج أيضا إلى مجاهدة لما فى نفوسنا من اعتياد الاستضعاف لمن طغى وتجبر منا ، مجاهدة لتقاليدنا فى ممالأة المجرمين الأقوياء ومداهنة الفاسقين الأغنياء ، نحتاج إلى أن نجاهد ميولنا للتنازع والتحاسد والتباغض .

وأما الاجتهاد فهو من أجل إيصال الواقع الأدنى الحاضر للعرب بالمثال الأعلى للحضارة الإسلامية فى القرن الحادى والعشرين . اجتهاد يتطلب فقهًا متجددًا بلغة ورموز وتحديات عصرنا ، فقهًا لكل من عقيدتنا وشريعتنا ولحاضرنا كمسلمين فى أقطار واقعية محدودة . نحتاج إلى اجتهاد يلهم الحاضر الواقعى الإنسانى النسبى بالدينى الإلهى المطلق .

ولايفعل هذا إلا من عرفهما معًا وأحبهما معًا ورغب حقًا فى وصلهما. ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . هو عرف مجتمعه فى مكة وفى المدنية ، بتكويناتهما القبلية وتقاليدهما الاجتماعية وأسسهما الاقتصادية ، ثم غير نفوس الناس وجدد مقومات

المجتمع بالدين والهدى والقيم الإسلامية . والرسول فعل هذا برحمة من الله ، فكان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا. لم يحطم كل الروابط و لم يحقر كل الأسس . إنما حطم الأوهام والأصنام فقط . وأبقى على كل خير ومعروف ووجهه إلى الفلاح الفردى والاجتماعى .

وكل جيل من أجيال المسلمين التى تلت وفاة النبى واجه نفس التحدى ، تحدى إصلاح الدنيا بالدين، بناء الحضارة بالإسلام . نجحت أجيال وأخفقت أخرى . وانعكس هذا فى فقه كل جيل للقرآن والسنة وتفسيره لهما ، وتركيزه على قضاياهما ، نجحت الأجيال التىرأت فى القرآن والسنة جانبيهما : الحضارى المشرِّع للذات الجماعية ، والشخصى المشرِّع للذات الفردية . وإن استشارتنا لفقه تلك الأجيال يمكن أن يفيدنا .

لكن لنعلم أن الابتلاء هو لنا نحن . والمسئولية فى بناء الحضارة الإسلامية هنا والآن مسئوليتنا نحن ؛ ولذا يجب أن نجتهد نحن فى تفسير القرآن والسنة تفسيرًا يعبر عن رؤانا الحاضرة لواقعنا الحاضر بتحدياته الحاضرة وممكناته الحاضرة . إن المعاصرة هى هذا الحضور . فلا هى الانتماء إلى الأغراب المعاصرين الذين يشاركوننا الآن : العصر ، ولكن يختلفون معنا فى الهنا : المكان . ولا تكون المعاصرة بالانتماء إلى الأقارب الأقدمين الذى يشاركوننا الهنا : المكان ، لكن لم ولن يشاركونا فى تحديات العصر وعلمه وممكناته .

نحن - مسلمى هذا الزمان - أمامنا البديل الذى لم يخفق قط . لن تتوطن قدراتنا التكنولوجية إلا بأن تؤصل بقيمنا الاسلامية . أن يستقر فى شغاف قلوبنا الإيمان الراسخ بأن الصراط الصحيح الوحيد للنهضة والقوة والتمدن والشهود الحضارى هو صراط العزيز الحميد .

ولهذا فلا نسمى الغاية التى صراطها هو صراط الرحمن بأسماء الغرب : (الحداثة ، التقدم ، المعاصرة.. إلخ) ، إنما نسميها كما سماها الله فى كتابه . حضارة الصدق والحق ، حضارة العلم والحكمة ، حضارة البر والتقوى ، والعدل والإحسان ، حضارة أمة المتقين .

نحتاج إلى أن نجتهد فى أسلمة مناهجنا العلمية ، أساليبنا الأدبية ، نظمنا البنكية ، أنساقنا الإدارية ، وسائلنا الإعلامية ، خطابنا السياسى .

نحتاج إلى أن نؤصل تعبيرات مثل الإبداع ، الانتماء ، التقدم ، العمل ، الإنتاج ، فنربط ، مثلاً ، بين الإبداع والتفكر فى خلق السموات والأرض، بين الانتماء وإيتاء ذوى القربى ، بين التقدم والسير على الصراط المستقيم، بين العمل المنتج والعمل الصالح ، بين المسئولية والحساب.

إن الاستفادة النافعة من الغرب تكون بأن نرى كيف طبق سنن النهوض واتصل بجذوره الحضارية فنتصل نحن أيضًا بجذورنا والاستفادة النافعة من السلف الصالح ليست فى اقتباس مضمون اجتهادهم، إنما هى فى محاكاة منهج اجتهادهم منهج تمسكهم بالقرآن والسنة ، منهج تدبرهم لآيات الله . أن نجتهد كما اجتهدوا فى تأصيل استجابتنا نحن لأمر الله لنا ، أن نكون خلفاء صالحين فى أراضينا وأنهارنا ، وقرانا وواحاتنا ، أن نتقى الله فى شعوبنا ، ونرغب إلى الله وحده ونحن نعامل حكامنا .

وأخيرًا وليس آخرًا يكون الجهاد،وهو شقان : سياسى وحضارى . أما السياسى فهدفه جعل المرجعية التشريعية إلى الشريعة الإسلامية .يختلف المجتهدون لكن معيار الحق يكون بالاحتكام إليها . أما الجهاد الحضارى فغايته تغيير النفوس لتحب الاستقامة على صراط الله لتقتنع أن نفعها وخيرها لا يكون إلا بالإسلام لله ، هذا جهاد غايته جعل الميزان الذى نزن به البشر هو التقوى، والمعيار الذى نقيم به المساعى هو البر .

ج- الغاية العليا

نحن لا نريد أن نبنى إمبراطورية عربية تناطح إمبراطوريات الغرب وتشابهها . لها نفس مؤسساتها الربوية المستغلة للشعوب الجائعة ، أونفس مؤسساتها العسكرية المتسلطة على المستضعفين فى الأرض ، أو نفس صناعاتها المدمرة للبيئة . لا ليس ما نريده هو استعادة خلافة إسلامية جوهرها ملك عضوض مستبد مخلد إلى الأرض ، نحن لا نريد الإسلام كواجهة ولافتة لحضارة محجوبة عن الله .

إن الإسلام هو الغاية ، والحضارة هى الوسيلة ، نحن نريد الحضارة . من أجل أن نكون من المسلمين المفلحين . غايتنا هى عبادة الله ، وما العلم والتكنولوجيا إلا وسائل للعبادة وسائل للطاعة . إن معايير استخدامنا الوسائل الحضارية وتوجيهها تكون

دومًا خاضعة لهيمنة غايتنا الوجودية العليا : أن ننال رضوان الله .

لن تكون حضارتنا إسلامية حقًّا إلا إذا كنا نعمل الصالحات الحضارية رغبة فى رضوان الله . فلا نحسن صناعاتنا مثلا لنزادد علوًّا في الأرض، إنما لنكون خير أمة أخرجت للناس . نكون أهل العدل والقسط ، وأمة البر والتقوى . إن دورنا ، بل أمانة استخلافنا هو أن نكون شهداء على الناس ، نقود البشرية بالقدوة الإيمانية، بالوسطية الإسلامية ، بمكارم الأخلاق، بالخضوع للحق ، والاستقامة على الصراط ، نقودها فى سعيها لثواب الآخرة .

علينا أن نعتبر بتجاربنا فى النهضة، والتى خلت من هذه الغاية الإسلامية الحاكمة ، تجارب محمد على والخديو إسماعيل ، وعبد الناصر وصدام حسين. هذه تجارب ركزت على سنن التقدم المادية ، على التحديث تمثلاً بمن أتقنوا هذه السنن وهم الغربيون . وشهدت هذه التجارب ليس فقط تمثلاً بالغرب فى الوسائل (نظم التعليم ومناهجه ، نظم الإنتاج وتقنياته ، وآلاته) وإنما أيضًا فى الغايات (الرفاهية ، الراحة ، الوفرة ، اللذة ، العلو ..) لقد حققت تلك التجارب استقلالاً سياسيًّا وتحسنًا اقتصاديًّا ، ولكن لم تستمر وانكفأت بسرعة .

السبب أنها كانت تابعة قيميًّا للغرب . فالذى يميز أىَّ حضارة هو معيارها الحاكم ، فرقانها الذى تميز به شعوبها بين الحق والباطل وبين الرشد والغى ، ويا ويل الشعوب التى تستمد هذا الفرقان من كبرائها أو من أسلافها أومن غزاتها أو من أنفسها.

إن الشرك لظلم عظيم ، ولا فرق فيه بين الذى تشرك به من دون الله وبين غيره . إن الصراط الحضارى المستقيم يستمد فرقانه ، معياره الأعلى الحاكم، من الرحمن الرحيم.

عاشرًا : مراجع البحث

الحوارات :

استفدت كثيرًا فى هذا البحث من حوارات ملهمة مع أصدقاء ، مع أشخاصهم ، ومع كتاباتهم ، ومن هؤلاء الدكاترة : حامد الموصلى ، وسيد دسوقى ، ومحمد عمارة والأساتذة : طارق البشرى ، وعادل حسين ، وفهمى هويدى .

الكتابات :

1- مقالات الدكتور حامد الموصلى فى مجلة (الحوار) .

نحن والتكنولوجيا ، التكنولوجيا

الملائمة ، الصناعات التقليدية فى البلاد الإسلامية .

2- كتاب الشيخ محمد الغزالى : (كيف نتعامل مع القرآن)

3- مقالات سابقة للمؤلف : (الأسباب الثقافية لأغلالنا التكنولوجيا)، مجلة الهندسة والحضارة، تصدر عن نقابة المهندسين بالقاهرة .

(فى التشخيص الثقافى للبطالة)، مجموعة أبحاث مؤتمر البطالة بين المهندسين ، عقد فى القاهرة يناير 1989.